الأصول لا تتغير في جميع الشرائع





د. محمد بن علي بن جميل المطري

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 25/8/2015 ميلادي - 9/11/1436 هجري

الزيارات: 4794

الأصول لا تتغير في جميع الشرائع

الأصول لا تتغير في جميع الشرائع وإنما تتغير بعض الفروع بحسب الحكمة والمصلحة، وفي نَسْخ الأحكام حِكَمٌ ومصالح كثيرة نظراً إلى حال المكلفين والزمان والمكان، وسواء ظهرت لنا المصلحة أو لم تظهر فإن الله هو الحكيم العليم.

والشرائع الكلية لا تتغير بتغير الأزمنة كعبادة الله وحده والإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والأمر بالصدق والعدل والإحسان وغير ذلك من الفضائل، وتحريم الكذب والظلم والبغي وعقوق الوالدين وغير ذلك من الرذائل، فهذه الأصول والفروع متفقة في جميع الشرائع، ومن أحكام التوراة التي لم تُنسَخ: حرمة القتل والزنا والسرقة وحرمة نكاح الأمهات والبنات والعمات والخالات وغير ذلك من الأحكام الكثيرة التي أقرتها شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذا بعض أحكام الإنجيل لم تُنسَخ مثل ما وقع في الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس هكذا: " (29) فقال له عيسى وهو يحاوره: إن أول الأحكام قوله: استمع يا إسرائيل فإن الرب إلهنا رب واحد (30) وأن تحب الرب إلهك بقلبك كله وروحك كلها وإدراكك كله وقواك كلها، هذا هو الحكم الأول (31) والثاني مثله وهو أن تحب جارك كنفسك، وليس حكم آخر أكبر من هذين ".

وإنما تتغير بعض الفروع بحسب الحكمة والمصلحة كما حرم الله على بني إسرائيل بعض الطيبات عقوبة لهم وابتلاء ثم نسخ الله تحريمها بشريعة عيسى رحمة وابتلاء قال الله سبحانه: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء: 160]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأنعام: 146]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: 118]، وقال الله حاكيا عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران: 50]، وقال الله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف: 6].

وفي إنجيل يوحنا (13-16/12) أن عيسى عليه السلام قال: " إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ".

وهذه بشارة من عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتصريح من عيسى بأن النبي الآتي بعده سيأتي بشريعة جديدة لم يأت بها عيسى، وأنها حق عليهم أن يتبعوها.

وبعض العبادات شرعها الله على جميع الأمم لأهميتها وكثرة فوائدها لكن تختلف كيفياتها وأحكامها من شريعة إلى أخرى مثل الصلاة والزكاة والصيام، قال الله سبحانه: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 4-5] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 183].

وقد بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة كما ثبت في مسند أحمد (22345) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت بالحنيفية السمحة»، قال الله سبحانه لنبيه: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ [الأعلى: 8] وقال لأمة نبيه محمد صلى الله عليه سلم: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: 6]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: 78].
